مرض الإيدز

٤/٢٣/ ١٤٠٩هـ

١٢/٢/ ١٩٨٨م

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

حضرت في الأسبوع الماضي مؤتمراً للطب الإسلامي في القاهرة، عقدته المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الكويت، وبالتعاون مع الأزهر الشريف، ومع نقابة الأطباء في مصر.

وكان مما لفت النظر في هذا المؤتمر موضوع شغل العالم اليوم، وهو ما يسمى بـ (الإيدز)، والإيدز حروف لكلمات تدل على مرض هو: (نقص المناعة الطبيعية والمكتسبة لدى الإنسان)، فإن الله سبحانه وتعالى زود الجسم الإنساني بجند من جنده: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ...﴾ [المدثر: ٣١]، هذه الجنود المجندة الخفية التي لا ترى إلاّ بالمجاهر ـ وقد لا ترى ـ تقاوم كل ميكروب غريب يزحف على هذا الجسم، وإلاّ تعرض للهلاك من أقل ميكروب أو فيروس.

يأتي هذا المرض ليحطم هذا الجند المجند المرابط من قبل القدرة الإلهية، وليقبض عليه، فيصبح الإنسان فريسة لأي مرض، يمكنه أن يهاجمه ويقضي عليه.

هذا هو المرض الذي أشير إليه باسم (الإيدز)، وهو الذي يرعب العالم كله الآن، وقد عرض الإخوة الأطباء الذين جاءوا من أوروبا وأمريكا، والذين

يعيشون هناك في أعلى الاختصاصات، وفي أرقى المراكز، وعرضوا بالصور، وعرضوا بالأفلام، وبلغت الإحصاءات، ما يهدد العالم من وراء هذا الداء الخطير، وهذا الوباء الوبيل، وهذا المرض العضال.

إنها إحصاءات مرعبة، فآلاف مؤلفة تعاني من هذا المرض، وآلاف وآلاف تحمل المكيروب، وآلاف وآلاف، بل ملايين وملايين، مهددة أن يصل إليها هذا المرض بوسيلة من الوسائل، فما سبب ذلك كله؟.

سبب ذلك كله هو الشرود عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، هو الشرود عن السنن الإلهية التي أقام الله عليها هذا الكون، هو الشرود عن أحكام الله تبارك وتعالى.

لقد أصيب بهذا المرض الغربيون في أرقى البلاد التي وصلت إلى القمر، وتحاول الصعود إلى الكواكب الأخرى.

أصيب به أبناؤها، وأصيب به بناتها، وحتى الأطفال أصيبوا بهذا المرض الوبيل الذي وقف الأطباء عاجزون عنه، لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً.

من أجل ذلك تنادى العالم كله للوقوف أمام هذا الوباء الذي يسمونه (الطاعون الأبيض) يتنادى العالم للوقوف ضده، للوقاية منه، فالوقاية خير من العلاج، ودرهم وقاية خير من قنطار من العلاج.

لقد أصابهم هذا المرض نتيجة انتشار الفاحشة، نتيجة انتشار الشذوذ الجنسي، نتيجة انتشار الزنا واللواط والاتصال غير المشروع بين الرجل والرجل، والاتصال المحرم بين الرجل والمرأة، ونتيجة الإعلان به جهاراً نهاراً، حتى أن الشواذ أصبح لهم أندية خاصة، وأصبحوا يسيرون مسيرات ومظاهرات في شوارعهم الكبرى، تجوب الطرقات، وتنادي أن يكون لهم حق الاتصال الشاذ.

بلغ الأمر عند هؤلاء الناس إلى هذا الحد، يقولون: نحن أحرار، دعونا كما نشاء، يتصل الرجل بالرجل، والرجل بالمرأة، والمرأة بالمرأة.

هذه هي الحرية عندهم، حرية الفسوق لا حرية الحقوق، حرية البهيمة لا حرية الإنسان، إن الحرية ليست أن تفعل كل ما تشتهي، ولكن الحرية الحقيقية أن تفعل ما ينبغي.

ليس هناك حرية مطلقة في هذا الكون، كل شيء له حدود حتى الكواكب السيارة لها مساراتها ومداراتها: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ، حتى الطائرات لها مسابحها في الجو، حتى البواخر في المحيطات لها مساراتها، كل شيء لا يمكن أن يكون حراً بإطلاق، لا بد من قيود وحدود، وإلاّ اصطدمت الأشياء بعضها مع بعض.

الحرية المطلقة بهيمية حيوانية وليست من الإنسانية في شيء، هؤلاء يطالبون بالحرية المطلقة، حرية أن يتصل الرجل بالرجل، أي قذارة، وأي حقارة، وأي أذى؟!.

إن الناس سألوا ـ في عهد النبي ﷺ ـ عن اتصال الرجل بامرأته في وقت الحيض، فجاء قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، إتيان في موضع الحرث، ورجل مع امرأته في الحلال، ولكن إذا وجد الأذى... وجد الدم، فعلى الإنسان أن يتنزه، ويتنظف، ويضبط نفسه، حتى يأتي وقت الطهر: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، أما هذا فهو يأتي مكاناً هو موضع القذر، لم يخلقه الله لهذا الأمر، ما خلق الله الذكر ليركب، ما خلق الله الشرج ليؤتى، إنما خلقه لمهمة إخرى قذرة ينبغي للإنسان أن يتنظف منها ويتطهر، فكيف قلب هؤلاء فطرة الله التي فطر الناس عليها؟!.

إنّ قوماً في التاريخ فعلوا ذلك، وهم قوم لوط، كانوا أول من ابتكر هذه الفاحشة، ما سبقهم بها أحد من العالمين: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف: ٨٠] .

أرسل الله إليهم نبيه لوطاً عليه السلام يدعوهم إلى الله، وإلى التنزه عن هذه الفاحشة، ودمغهم بأسوأ الأوصاف، فقال: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦] ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤] ، وصفهم بكل الأوصاف الهازئة، ثم سأل الله سبحانه وتعالى أن يخلصه منهم، فنجاه من هذه القرية التي كانت تعمل الخبائث والتي كانت تأتي في ناديها المنكر، والتي كانت تتربص حتى بالضيوف، ولا يسلم منها ضيف، إنها آفة، إنها مصيبة، من أصيب بها فقد عقله، وفقد ضميره، وفقد وعيه، ولم يرع أي قيمة من القيم حتى الضيوف.

هؤلاء استحقوا العقوبة من الله تبارك وتعالى، عوقبوا بما لم يعاقبه أحد في العالمين، جزاء فاحشتهم التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود، وجعل عالي بلدانهم سافلها، قلبها عليهم كما قلبوا فطرة الله عز وجل، وأرسل عليهم حجارة مسوّمة كل حجر مصوب لصاحبه لا يخطئه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢ ـ ٨٣] عقوبة الله ليست ببعيدة عن كل من سلك مسلكهم، أو اتبع منهاجهم.

الغربيون أعادوا الفاحشة التي ابتدعها قوم لوط، ولكنهم زادوا على قوم لوط، فباهوا بها، وأعلنوا عنها، وأصبحت لهم أنديتهم، وأصبحوا يسيرون المظاهرات، ويكتبون في الصحف، بل أصبح هناك من يدعو إلى قانون يتيح لهم هذا الأمر: أن يقنن هذا الخروج عن الفطرة، وأن يقنن هذا الإجرام.

وللأسف كل الأسف، وجد من الكنائس المسيحية التي تنتسب إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، الذي كان يقول: لقد كان من قبلكم يقولون: لا تزن، وأنا أقول: من نظر بعينيه فقد زنى، هكذا يروون عنه في الإنجيل، إنه يحرم النظرة غير البريئة، فكيف بهؤلاء الذي يستحلون ما حرم الله في كل جيل؟ للأسف تقوم بعض الكنائس لتبارك هذا المنكر، ويقوم بعض القسس بكتابة عقود

يزوج فيها الرجل من الرجل!!.

أي حضارة هذه الحضارة؟ وأي مدنية هذه المدنية؟ ليست الحضارة أن تلعب بالأزرار لتأتيك بالأشياء في أسرع وقت، وأن تختصر لك المسافات، وأن تقرب إليك البعيد، وأن تنطق لك الحديد.

الحضارة أن ترقى باعتبارك إنساناً، أن يكون لك عقل وخلق وضمير، أن تضبط نفسك أمام الشهوات، أن تقول: لا، بملء فيك إذا وجدت ما يصادم إنسانيتك، أن تركل الشهوات بقدميك، وتقول ما قاله الصديق ابن الصديق ابن الصديق ابن الصديق، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام: ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾[1] [يوسف: ٢٣]، حينما عرضت عليه الفتنة، هكذا ينبغي أن يكون الإنسان.

وللأسف الشديد أيها الإخوة، بدأ رذاذ من هذه الحضارة ينتقل إلينا نحن المسلمين، بدأنا ـ نحن المسلمين ـ نقلدهم تقليداً أعمى... تقليد القردة، ونحاكيهم محاكاة الببغاوات، نريد أن نسير سيرتهم، ونستن بسنتهم، ونمشي وراءهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه، كما قال النبي ﷺ[2].

يريد بعض الناس منا أن نسير وراء الغرب، أن نطلق الحرية، أن ندع للشباب والشابات الحبل على الغارب، ليجرب كل منهم صاحبه، يتعلم بعض شبابنا هذا الأمر عن طريق الفكر المضلل، وعن طريق المخالطة والاتصال بأولئك

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

(٢) ونص الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!» متفق على صحته (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط ١٤/ ٣٩٢، الحديث: ٤١٩٦).

القوم في بلدانهم، حين يذهب من يذهب إلى أوروبا وأمريكا، وحينما يذهب من يذهب إلى بلاد الشرق الأقصى، إلى (بانكوك) وما وراءها، فيأتون وقد تلوثوا بالأمراض، وقد أصيبوا بالأدواء، في أبدانهم وفي عقولهم!.

هكذا بدأنا نذهب إليهم لنأخذ عنهم البلاء والوباء، أو يأتون إلينا في صور شتى.

إن الله حصننا نحن المسلمين بتعاليم دينه، حصننا بأحكام شرعه، حصننا بالعقيدة التي تجعل المؤمن يقف شامخاً كالجبل الأشم، أمام الأهواء والمغريات والشهوات، لا يرضى أن يلوث نفسه، إن الإسلام قد رباه منذ نعومة أظفاره على غض البصر وحفظ الفرج: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

إن الله أراد للإنسان المسلم أن يتربى على العفاف والإحصان وخلق الحياء، فلا يرضى أن يتلوث بالشهوات، وأن يقع في بؤرة المعاصي، حتى لو جاءت الشهوة إليه ساعية فإنه يرفضها ويقول: معاذ الله، ويقول كما قال أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله، حينما عرضت له امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين[1]، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

---

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله: اجتمعا على ذلك، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» [المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢٨٧، الحديث ٤٥٧].

علّم الإسلام المسلم منذ صباه أن يتعفف، ويتنظف، ويتطهر، ويتنزه، ويرفض أن يتلوث بهذه الكبائر، علّمه ألا يتصل بالجنس الآخر إلاّ في الحلال.

من أوصاف المؤمنين في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧]، أولئك هم المعتدون على حدود الله، الظالمون لأنفسهم وللناس.

● أغلق الإسلام أبواب الحرام أمام المسلم، وفتح له أبواب الحلال، ودعا الناس إلى أن يتزوجوا ويزوجوا: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢﴾ [النور: ٣٢].

إن الإسلام يعمل على إيجاد الفرد النظيف والمجتمع النظيف، فدعا المجتمع أن يعين كل من يرغب في الإحصان، كما دعاه إلى أن يطهر نفسه من أسباب الفتنة، ودواعي الإغراء والإفساد، فلا يجوز لمجتمع مسلم أن يوجد فيه ما يحرض على الفواحش كما ظهر منها وما بطن، لا يجوز لمجتمع مسلم أن توجد فيه الصورة العارية أو شبه العارية، أو الغناء الماجن، أو القصة الخليعة، أو المرأة المكشوفة التي تباع لحماً رخيصاً في الطرقات والأسواق وعلى الشواطىء، لا يجوز هذا في حال من الأحوال، وبهذا يحصن المسلم نفسه من كل وباء، ومن كل مرض.

إما إذا شرد الناس عن هذا، وارتكبوا ما حرّم الله، وتورطوا في الموبقات، وأعلنوا بها كما فعل الغربيون، فإن عقاب الله تعالى بالمرصاد.

إن لله عقوبات شتى، منها عقوبات شرعية ينفذها ولي الأمر المسلم، ومنها عقوبات كونية قدرية، يتولاها، القدر الأعلى، وفقاً لما ربط الله به هذا الكون من شبكة الأسباب والمسببات، ومرض (الإيدز) هو نوع من العقوبة القدرية الإلهية كما نبأنا بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجة، والحاكم، والبيهقي عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن [وكانت أولى هذه الخصال

الخمس] لم تظهر الفاحشة[1] في قوم قط حتى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. . .»[2].

انظروا إلى هذا الحديث الشريف العجيب، انظروا إلى هذا الإعجاز النبوي: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها»: وجود الفاحشة عند فرد أو أفراد قد يعفو الله تعالى عنه، أو يؤجل العقوبة عليه، ولكن حينما تظهر في قوم. . . في جماعة. . . في مجتمع، وتظهر إلى حد أن يعلنوا بها، ويجاهروا بها، ويتباهوا بها، ويقيموا النوادي من أجلها «إلاّ فشا فيهم الطاعون»: لقد كان الطاعون يأتي قديماً ويأكل الأخضر واليابس، ويفنى الناس بالجملة، ولا يجد الناس له مقاومة ولا علاجاً، والغربيون يطلقون على (الإيدز) لفظ: (الطاعون) كما جاء في حديث النبي ﷺ، فهذا هو طاعون هذا العصر: «إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا» وهذا المرض فعلاً ما كان الناس يعرفون عنه شيئاً قبل عدة سنوات، فهو مرض جديد، كلما أحدث الناس معصية أحدث الله لهم عقوبة، هكذا سنة الله تبارك وتعالى.

إن هناك رقابة على هذا الكون، رقابة إلهية لا تدع الناس دون أن تأتيهم النذر، وهذه النذر أيضاً من رحمة الله تبارك وتعالى، لينبه الغافلين، ويذكر الناسين، ويوقظ النائمين، ويقول: يا أيها الضالون عودوا، ويا أيها العصاة توبوا، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]، ظهرت المصائب من كل نوع: مصائب في الفرد، ومصائب في الأسرة، ومصائب في الجماعة، مصائب في الأجسام، ومصائب في الأنفس، ومصائب في العقول، ومصائب في الأموال، ومصائب من كل ناحية، فساد شامل، لماذا؟ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى

---

(١) الفاحشة تشمل الزنى وعمل قوم لوط الذي يعرف في عصرنا باسم (الشذوذ الجنسي).

(٢) رواه ابن ماجه ـ وهذا لفظه ـ والبزار والبيهقي من حديث ابن عمر بنحوه، ورواه الحاكم أيضاً، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: الحديثان ٣٩٩، ١٤٣٣).

ٱلنَّاسِ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤] ، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: ١٨٢] . ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم: ٤١] لا يذيقهم كل ما عملوا، لو أخذ الله الناس بكل ما عملوا لأفنى هذا الكون، لأباد خضراءهم، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى . . .﴾ [فاطر: ٤٥]، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] ، أي: أنه ينبههم بهذه العقوبات ليتذكروا، ليذكر الإنسان ضعفه أمام القدرة الإلهية، ليذكر الإنسان مصيره، ليذكر مبدأه ومنتهاه.

﴿لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ﴾ فهل يرجع الشاردون؟ فهل يتوب العاصون؟ فهل يهتدي الضالون؟ فهل يستيقظ النائمون؟ هيهات. . . هيهات.

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

لقد جاءتهم النذر من كل ناحية، جاءتهم النذر وهم في غيهم سادرون. . . في غفلتهم لاهون. . . في غمرتهم ساهون. . . فعلينا نحن المسلمين أن نأخذ العبرة، أن نستفيد من غيرنا، فالسعيد من وعظ بغيره.

نحن مسلمون أكرمنا الله بالإسلام، وحصننا بهذا الدين، فلا يجوز لنا أن نكون نسخة من غيرنا، أن نمسخ أنفسنا، ونصير أذناباً لغيرنا، إن كان ولا بد أن نأخذ من الغرب، فلنأخذ منه العلم والتكنولوجيا، والعلم هو بضاعتنا في الحقيقة ترد إلينا.

لقد أخذوا المنهج العلمي التجريبي منّا، فعلينا أن نستعيده ونستفيد منه و«الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها»[1]، إما أن نأخذ

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم من سننه واستغربه، وفي سنده راو يضعف من قبل حفظه (٢٦٨٨)، كما رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، كلاهما عن أبي هريرة، والسند وإن كان ضعيفاً فالمعنى صحيح.

عنهم كل شيء كما ينادي من ينادي من الناس، فهذا هو المسخ.

لا يجوز لهذه الأمة بحال أن تنماع شخصيتها، وأن تسير وراء غيرها من المغضوب عليهم ومن الضالين، وقد علم الله المسلم أن يقول في كل يوم ما لا يقلّ عن سبع عشرة مرة مناجياً ربه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧]

علينا نحن المسلمين أن نتميز عن غيرنا، فنحل ما أحل الله، ونحرم ما حرم الله، وللأسف لا زالت بعض القوانين في بلاد المسلمين تحل الحرام... تحل الزنا الصريح... تحل الاتصال غير المشروع، ما دام ذلك يتم برضا الطرفين، فالقانون لا سبيل له عليهما، وكما يقول المثل: «أنا راض، وأبوي راضي، وأنت مالك يا قاضي؟!».

وفي بعض البلاد حرموا الزواج بامرأة ثانية، وأباحوا اتخاذ الخليلات والعشيقات، وهكذا فعلوا: أحلوا الحرام وحرموا الحلال، وعارضوا شرع الله جهاراً نهاراً، عياناً بياناً.

نحن المسلمين علينا أن نستمسك بشرع الله عز وجل، فهو سفينة الإنقاذ، وطوق النجاة في الدنيا والآخرة.

إن الدين ليس سبيلاً للسعادة في الآخرة فقط، بل هو سبيل السعادة في الدنيا قبل الآخرة، لا نجاة إلاّ به، ولا وحدة إلاّ به، ولا قوة إلاّ به، ولا نصر إلاّ به، من أراد الدنيا فليتمسك بالإسلام، ومن أراد الآخرة فليتمسك بالإسلام، ومن أرادهما معاً فليتمسك بالإسلام.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

● الخطبة الثانية:

أيها الإخوة المسلمون:

ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في لبنان، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخواننا المجاهدين في الفلبين، وانصر إخواننا المجاهدين في كل شبر من أرض الإسلام، اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم، وأذل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المسلمين.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقوى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ونياتهم على الجهاد في سبيلك: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].